فارس أحلامنا

" دائما تتأخرين " يا ندى ، سيوبخنا المُعلم مرة أخرى بسببك ! .. يبدو إننى سأقطع علاقتى بكِ حتى أحافظ على تفوقى !! " هيا أسرعي " ..

قالتها علا لصديقتها وهي تجذبها لدرس الفيزياء والتى كانت هائمة فى عالم آخر !!

والتي ردت عليها مهللة : " وجدته يا علا ، لن تصدقي ما حدث معى !! ذلك الذى كنت أحلم به دائما !! .. اليوم قابلته .. إنه يوم سعدى !! "

علا : لن يكون يوم سعدكِ ، بل سيكون آخر يوم في عمرك !! ، أفيقي يا حمقاء !! إن درس الفيزياء سيفوتنا ، وأنتِ تثرثرين عن أحلامكِ .. يا ألهى !! .. لقد أخطأت عندما صادقت مجنونة !!

ندى : لا تضيعي لحظات سعادتي بغضبك هذا .. إنه هو يا علا ، فارس أحلامى الذى طالما حلمت به !! .

إنظري يا علا .. هذا هو .. تقولها بشوق ولهفة .. بينما علا تصرخ هيا أسرعي تأخرنا ، يا إلهى ستكونين سبب فشلى هذا العام .

وتستكمل ندى وكأنها لا تسمعها : آه يا قلبي !! و يا عذابي ، وددت أن أعرف أسمه أو عنوانه وأى شيء عنه !! لن أذهب للدرس اليوم فاذهبي أنتِ و اتركيني لحلمى !!

تتأفف علا من ندى وتغضب ، تتركها مسرعة نحو درسها وهي تقسم ألا تنتظرها مرة أخرى

وتتابع ندى من سلبها عقلها بنظرها وهو يبتعد .. بينما تقف حائرة لا تعرف إلى أين تسير ؟! ، هل تذهب خلفه أم خلف علا ؟! أم تعود لمنزلها على أمل أن تقابله مرة أخرى ولو صدفة !!؟

و بينما هي في حيرتها إذا به قد عاد مع صديق له و يمر أمامها ، تشعر أنها تحلم ، تسير مسرعة خوفا أن يلمحها ، ماذا سيظن بها ؟! إنها تسير طوال اليوم في

الشارع ، ودون أن تشعر تسقط حافظة أقلامها ، فيلمحها ويلتقطها من على الأرض ..

ويسرع خلفها مناديا : " آنسة .. يا آنسة " .. يخفق قلبها بقوة .. تلتفت إليه وكلها شوق ولهفة .. لا تعرف ماذا تقول ، مد يده إليها بالحافظة ، شكرته على استحياء دون أن تنظر له ، تمضي مسرعة مرتبكة .. فتقع كتبها هذه المرة !!

ينطلق ضاحكا يتناول الكتب ، يقدمها إليها وهو يردد :

(أنت تحتاجين حارسا لأشيائكِ !! انتبهي قليلا ، لن أسير خلفك طوال اليوم ، فلدي أعمال أخرى !!)

تبتسم معتذرة ، بينما تلمس يدها يده فتصيبها رعشة تسري في كيانها كله .. يحمر وجهها خجلا ، يقترب منها هامسا : " إسمي (خالد) و أنتِ؟"

تتلعثم قليلا .. ثم ترد وهي تفر من أمامه علي عجل : " ندى "

يظل مكانه ينظر إليها حتى غابت عن ناظره .. إلا أنه شعر بأنها لم تغب عن قلبه !!

تمضى أيام و (علا) في خصام مع (ندى) ، بينما (ندى) تعيش في أحلام اليقظة ليل نهار .. تمر كل يوم من نفس المكان لعلها تراه !!

يصيبها اليأس .. وتظنه حلما جميلا إلا إنها فوجئت به يوقفها معتذرا ، ويسلم عليها بأدب ، ثم يناولها ورقة تفوح عطرا !! .. أذهلتهاالمفاجأة .. حتى إنها لم تعرف كيف وضعتها بين صفحات أحد كتبها !! ثم تمضي إلى بيتها .. تغلق عليها باب غرفتها بتوتر ، وتأخذ الورقة بلهفة وشوق لتقرأ بقلبها وحواسها جميعا ، تظل تقرأها ليل نهار ، كان بها كلمات من قصيدة لفاروق جويدة

لماذا أراك في كل شيء

كأنك في الارض كل البشر

كأنك درب بعد النهار

وإني خلقت لهذا السفر

فإن كنت أهرب منك اليك

فقولي بربك أين المفر ؟

وأعتراف منه بحبها من النظرة الأولي ، وتمنى لو يعرف شعورها نحوه ! كانت بين سعادة و خوف ، لم تنم ليلتها لحظة واحدة ، لم تخرج من البيت يومان .. تخجل أن تقابله ، بالرغم من شوقها الجارف إليه ! فكرت أن تكتب له .. لكنها مزقت الورقة .. لو علمت (علا) لقاطعتها العمر كله ، و لو علم أبيها لمزقها إربا !!

عاشت أياما وليالٍ بين الخوف والرجاء والأمل واليأس .

رأته يمر أسفل نافذتها رقص قلبها فرحا ، وعندما رفع رأسه ليراها دخلت مسرعة ، خشيت أن يراها أحد فتحدث كارثة !!

أيامًا وهي في حيرة من أمرها ، حتي دق الباب ذات ليلة ، لتجد فتاة غريبة تحمل كتابًا ، تهمس لها بأنها أخت (خالد) !! تبلغها سلامه وتعطيها رسالة منه ، لا تعلم

ماذا يحدث ، أمسكت الرسالة وهرعت لغرفتها خلسة ، لتجد صورته بين السطور وهو يخبرها بأنه باق على تخرجه من الكلية البحرية شهران .. وبعدها سيتقدم لخطبتها .. و يطمئنها و يطالبها بالتوجه إلى دروسها بلا خوف وخجل وأن تنتظم في دراستها وتجتهد ، معتذرا عما سببه لها من حرج !! واعدا اياها بألا يعترض طريقها مرة أخرى !!

فخوفه عليها مثل خوفه على أخته ، وكيف لا و هى ستكون زوجته ؟! هذا الزواج الذي أصبح و أمسى يحلم به و يخطط له و يسعى جاهدا ليكون في أقرب وقت !!

قرأت ندى الخطاب مرات عديدة ، أسعدها كلامه ، و زادت فرحتها أكثر لوضوحه و رجولته ، و رغبته الارتباط بها وامتلأت أملا وبهجة ، تجري إلى (علا) لتبلغها الخبر فهى أختها وصديقتها الحميمة ، تضمها بفرح وتداعبها بأغنية حليم :

أول مرة تحب يا قلبى وأول يوم أتهنا ، ياما على نار الحب قالوا لي ولقيتها من الجنة ... !!

تعود لدراستها بنشاط ، كل أسبوع تراه مارا من الشارع ، لا يحدثها ولكن تسلم القلوب وتتصافح الأرواح بصمت ، يمر الشهران وتنتهي الدراسة ، ينفذ وعده لها و يتقدم للخطبة ، تتم برضا العائلتين ، وسط فرحة وسعادة الجميع

تنجح (ندى) وتلتحق بكلية العلوم ، لتكون البنت الوحيدة في العائلة التي تلتحق بالجامعة ، اتفقا على أن يتم الزواج بعد عامين ، كانا مليئين بالحب والعشق والأحلام الوردية!

كان (خالد) يأتي لزيارتها كل أسبوعين ، كان يوم زيارته عيدا لها !! لم تكن تتزين فحسب بل تزين المنزل ، وتتزين معها السماء بنجومها ويرقص القمر علي أنغام قلبها ، بفرحها تمتلىء الدنيا فرحا .. وتتزين لها وتشع نورا وحياة !! ملؤها السعادة والأمل والحب ، كانت عندما تراه تود لو ترتمي في أحضانه لتشبع من اشتياقها له ، تود لو ظلت تتأمله لتملأ عيونها وقلبها منه ، لكن خجلها كان يصبغ وجهها باللون الأحمر !! لم تكن تتحدث سوى بضع كلمات فى خجل !!

وكـان ينتهـز فرصــة غيـاب أختهـا أو أمهـا (حـراس المراقبة كما أطلق عليهما !!) ليسرق كلماتها و يضعها بقلبـه ، لتؤنســه فـي غربتـه وبعـاده عنهـا ، وبـين الحـين والآخر يسمعها كلمات الحب والعشق ، التي تأخذها بعيدا عن الارض ، فتتخيل رقصهما معا تحت زخات المطر ، ووسط المروج المزهرة والحدائق الساحرة ، رتبا كل شيء معا ، وبقيت أيام قليلة على زفافهما .. يصحب (خالد) ندى و والدتها وأختها الصغرى الحاصلة على دبلوم فني لشراء جهاز العروس .. وكلما أشتروا شيئا ، تسجله أختها في مفكرتها مرددة " حتى لا تنسوا شراءه لي عندما أجد فارس أحلامى مثل ندى " وتنطلق الضحكات المرحة السعيدة .

فـي ليلـة (الحنـة) .. امتلأ البيت بالصديقات والأهل وبنات الجيران .. لتعم السعادة .. ويضج البيت .. بغناء البنات وصخبهن وزغاريدهن ..

ترقص (ندى) مع البنات حتي تتعب ، ينفض السامر .. تنام ممتلئة بالأمل والسعادة تحلم بزفافها غدا .. تبكي

أختها " ستتركيننا يا ندى .. المنزل سيكون موحشا من بعدكِ !! "

تطمئنها بأنها لن تتركها وحدها ، فالمنزل ليس بعيدا ، و(خالد) يسافر دوما وستكون كل يوم هنا معها ، تتحدثان حتي يغلبهما النوم .

في الصباح تستيقظ (ندى) على صوت الأغاني و الزغاريد، في المساء أقيم حفل زفاف رائع ، يليق بضابط بحري ، و زوجته الفاتنة الجمال ، يجتمعا بحب في عش الزوجية الأنيق ، تمر ثلاثة أيام .. تمرض (ندى) فجأة ، يمتلىء جسدها ببقع حمراء ، ظن الجميع أنها مصابة بحساسية .. تتناول مضادات الحساسية ، لكن لا جدوى .. تسوء حالتها ، تُعرض على أكبر الأطباء بمستشفى الجيش ، بحكم عمل زوجها كضابط ، لا سبب واضح لما يحدث ، في اليوم الخامس تموت (ندى) ، وسط ذهول وفزع زوجها ، يصمم زوجها على إجراء فحص وتحليل لمعرفة سبب وفاتها ، يتضح إنه مرض غريب ، كان تقرير الطب الشرعي (سرطان في غشاء البكارة ، ما إن تمزق حتى تفشى في جسدها !!)

يعم الحزن البلدة ، تظلم الدنيا ويموت الفرح و يقام العزاء ، الكل مصدوم وذاهل وحزين .. والدتها منهارة لا تصدق ما حدث !! .. تردد إن ما أصابها إنما هو عين الحاسدين ، وتصرخ ألما وقهرا .

تقترح والدة (خالد) إرسال جهاز (ندى) لبيت والدها ، إلا إن الأقارب من العائلتين رفضوا ذلك لأن رؤية والديها لمتاع ابنتهما سيكون صدمة شديدة ، أشد و أقسى من موتها و قد يودي بحياتهما ! بعد مشاورات اقترح الجميع زواج (خالد) من أخت (ندى) ، على نفس جهازها وشقتها ، لأن ذلك سيكون بردا وسلاما على والديها .

كان الأمر صعبا .. رفضه (خالد) و والدته .. إلا إنه تحت إلحاح الجميع تم الزفاف بعد عام من رحيل ندى .

لم يكن الأمر سهلا بالنسبة لخالد و زوجته أخت (ندى) .. عانا كلاهما من الألم والتشتت حتى تأقلما على الوضع ، واعتادا الأمر بصعوبة بالغة ، كان (خالد) يتخيل (ندى) دوما ، لدرجة أنه يرى صورتها كلما اقترب من زوجته !! لا يستطيع نسيانها ولا محا حبها من قلبه ،

و حين حملت زوجته بدأ قلبه يرق لحالها لكن دون حب ، صارت العلاقة بينهما مودة و رحمة !! مجرد عطف وعشرة ، ما كانت تحسه هى وتتألم منه ، فنارها لم تكن أقل توهجا منه فحزنها على موت (ندى) يمزق قلبها فهى تراها هنا فى كل ركن .. تحس بأنفاسها وتسمع صوتها وضحكاتها هنا وهناك ، كان (خالد) يتركها كثيرا وحيدة ، ويصيبها الملل ،غير أن والدته كانت دائما معها تسري عنها فقد أحبتها وعاملتها كإبنة لها ، ولم تقصر هى في خدمتها كأم لها ، مما هون عليها برود (خالد) معها ، حتى حملت فكان الحمل سبيلا للتقرب والوصال بينهما ، بدأ الجليد يذوب رويدا في علاقتهما ومع مرور الوقت أحست بعطف وود خالد مما أسعدها وشرح صدرها وتمنت لو محت كل الحزن الذي يملأ قلبه ، تمنت أن ينسيا كل مر و يقيما معا حياة سعيدة !

أنجبت له طفلة جميلة أسماها (ندى) و بدأت الحياة بقدومها تدب في قلبيهما وتحول الظلام نورا ..

بدأ (خالد) يحس بزوجته و يرق قلبه لها ، ثم أنجبا طفلين توأم ..

عشرة أعوام مضت .. ومع مرور الوقت نسى الجميع الأمر، و رحلت سحب الأحزان .. وإن ظلت (ندى) في قلوبهم .

لكن أمها لم تنسى ولم تعرف الفرحة طريقا إلى قلبها ظلت تبكيها كل ليلة و لا تقوى على دخول شقة ندى رغم زواج إبنتها الأخرى من خالد.

متعللة بآلام قدميها التي تمنعها من السير والتنقل !! .. وعاشت تقتات أحزانها .. و لا تستطيع أن تطفئ نيرانا ما زالت تشتعل بقلبها ، حرقة على موت ندى .. والتي تزداد تأججا كلما تذكرت (ندى) ومر بخاطرها شريط حياتها معها !!